﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران: 174]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مواجهة الأخطار بالتّوكّل على الله، وقطف الثّمرة وقايةً ورضوانًا وفضلًا

سبقَ بيانُها مع الآيةِ الَّتي قَبلَها، وخلاصة ذلك أنّ السّياق إيضاح بليغ للمؤمنين الّذين توكّلواْ على اللّه، حين جمع لهم النّاس صنوف الكيد، وألوان الأذى، فانقلبوا بنعمة اللّه وعنايته، آمنين من الضّرر، سالمين من الخطر، وذلك فضلٌ من اللّه عظيم، على عباده الصّالحين، المتّبعين رضوانه العميم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾: مِنْ (قَلَبَهُ يَقْلِبُهُ): حوَّلهُ عن وجههِ، كأَقْلَبَهُ وقَلَّبهُ[1]، "وقلبت للقوم قليباً: حفرته، لأنّه بالحفر يقلب ترابه قلباً، والقليب في الأصل: التراب المقلوب، وقلبته: أصبت قلبه، وقلبه الدّاء: أخذ قلبه، وقلب فلان فهو مقلوب، وقلبت ناقته، قال ابن مولى المدنيّ:

يَا لَيْتَ نَاقَتِيَ الَّتِي أَكْرَيْتُهَا *** قُلِبَتْ وَأَوْرَثَهَا النَّجَازُ سُعَالًا[2]

والمرادُ هنا: رجعوا مُتَلَبِّسينَ، وهو معطوفٌ على مَحذوف، أيْ: فَخَرجواْ إليهمْ، فانْقَلَبوا بِنعمةٍ، وهو متعلِّقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالًا، هوَ: رَجَعواْ مُتَلبِّسينَ[3].

2) ﴿بِنِعۡمَةٖ﴾: نَعِمَ ينعَمُ، ويَنْعُمُ، ويَنعِمُ، ثلاثُ لغات، والنَّعيمُ والنُّعمَى: الخَفْضُ والدَّعةُ والمالُ، والتَّنَعُّمُ: التَّرفُّهُ[4]، والمرادُ هنا:

(1) الفيروزآبادي، القاموس: (قَلَبَ).
(2) الزَّمَخْشري، أساس البلاغة: (قلب).
(3) الشوكاني، فتح القدير: 1/649، والسّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 118.
(4) الفيروزآبادي، القاموس: (نَعِمَ).

السَّلامةُ مِنْ عدوِّهم، "ونِعْمَةُ اللّه: مَا أعطَاهُ العَبْد مِمَّا لَا يُمكن غَيره أَن يُعْطِيَهُ إِيَّاه كالسمع وَالْبَصَر، وَالْجمع مِنْهُمَا نِعَمٌ وأَنْعُمٌ، قَالَ ابْن جني: جَاءَ ذَلِك على حذف التَّاء، فَصَارَ كَقَوْلِهِم ذِئْب وأذؤب، وَقطع وأقطع، وَمثله كثير.. والنِّعْمَةُ: المسرة، ونَعِمَ اللّه بك عينًا، ونَعِمَكَ عينًا، وأنْعم بك عينًا: أقَرَّ بك عين من تحبّه، أنْشد ثَعْلَب:

أَنْعَمَ اللّه بالرَّسُولِ وبالمُرْ***سِلِ والحامِلِ الرِّسالَةَ عَيْنَا[1]

3) ﴿وَفَضْلٍ﴾: فَضَلَ، كنَصَر، وعَلِمَ، والفَضْلُ: ضدُّ النَّقصِ، وأفْضَل عليه في الحَسَب: زاد[2]، وفي يده فضل الزّمام وهو طرفه، قال ذو الرّمّة:

طَرَحْتُ لَهَا بِالْأَرْضِ فَضْلَ زِمَامِهَا***وَأَعْلَاهُ فِي مَثْنَى الْخَشَاشَةِ مُعْلَقُ

وللرّئيس فضول الغنائم، وهي ما يفضل عن القسمة، وله في قومه فضول وفواضل، الواحدة: فاضلة، وهو مفضال[3]، أي: أَجْرٌ تَفَضّلَ اللّه بِهِ عليهِمْ، قد يصدُق على رِبْحٍ في التِّجارةِ، أوْ أيِّ منافعَ من منافعِ الدُّنيا والآخرة، والأَوْلى أنْ يتوافقَ معَ منافعِ الدُّنيا؛ لأنَّ الحديثَ هُنا معَ الأحْياء، ويُؤَيِّدُهُ قولُهُ تعالى من بَعْدُ: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾.

4) ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ﴾، يُقالُ: (مَسَّ) الشّيْءَ يَمَسُّهُ بالفَتح (مَسًّا)، وبابُه: فَهِمَ، وهي اللُّغةُ الفَصيحةُ، وفيه لُغةٌ أُخرى من بابِ رَدَّ[4]، و"مَسِسْتُ الشّيء بالكسر أمسّه مسًّا، فهذه اللّغة الفصيحة، وحكى أبو عبيدة: مَسَسْتُ الشّيء بالفتح أمسُّه بالضّمّ، وربّما قالوا مسّت الشّيء يحذفون منه السّين الاولى، ويحولون كسرتها إلى الميم، ومنهم من لا يحوّل ويترك الميم على حالها مفتوحة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة: 65] يكسر ويفتح، وأصله ظَلَلْتم، وهو من شواذّ التّخفيف، وأنشد الأخفش:

مَسْنَا السَّمَاءَ فَنِلْنَاهَا وَطَالَهُمُ***حَتَّى رَأَوْا أُحُدًا يَهْوِي وَثَهْلَانَا[5]

والمرادُ بقولِه: ﴿سُوٓءٌ﴾، أي: سالمينَ من أيِّ سُوء، من إصابةٍ بقَتْلٍ، أو جِراحٍ، أو أيِّ خَوْفٍ يَحْذَرونَ منهُ ومنْ عَواقبِه[6].

(1) ابن سيده، المحكم: (نَعِمَ).
(2) الرّازي، مختار الصّحاح: (فَضَلَ).
(3) الزّمَخْشري، أساس البلاغة: (فَضَلَ).
(4) الرّازي، مختار الصّحاح: (مَسَسَ).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (مَسَسَ).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 4/183.

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

عاقبة المؤمنين حفظ من السّوء، وتفضّل من صاحب الفضل العظيم

بعد أن قالَ المسلمون: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: 173]، في وجهِ أولئكَ المُثبِّطين الَّذينَ حاوَلواْ إثارةَ الرُّعبِ في قلوبهم، بما أَعدَّه أبو سفيانَ وأصحابُه منْ حَشْدٍ، يُريدُ به العَوْدةَ والانْتقامَ من جماعةِ المؤمنين، كانَ لهذه الكِفايةِ باللّه، وصِدْقِ التّوكُّلِ عليه، أَثَرٌ بيّنٌ: في انْصرافِ المشركينَ وعَوْدتهم إلى مكَّة، وفي نُزولِ السَّكينةِ في قلوبِ المؤمنين، ورُجوعهم بتمامِ العافيةِ والسَّلامةِ من عَدوِّهم، مع رِبْحهم في التِّجارة، وإعطاءِ اللّهِ لهم ثوابَ الغَزْوة، وفَوْزِهم باتِّباع رضوانِ اللّه، وتثبيتِه لهم[1]، فأعطاهم اللّه ثواب ذلك ورضي عنهم، واللّه ذو فضل عظيم على عباده الصّالحين[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الفاءِ في قولِه تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾:

الانقلابُ إلى النعمةِ يَأتي إثرَ الاستجابةِ لأمرِ اللّه بالجهادِ

ابتدأتِ الآيةُ بالفاءِ في قوله: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ للتَّعقيبِ في الإخْبارِ عن ثَباتِ إيمانِهم، وقولِهم: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: 173]، والفاءُ عطفٌ على مقدَّرٍ؛ لأنَّ الانْقلابَ يقتضي أنَّهم خرجوا للِقاءِ العَدوِّ الّذي بلغَ عنهم أنّهم جَمَعوا له، ولم يَعْبَؤوا بتخويفِ الشَّيطان، والتَّقديرُ: فَخَرجوا مجاهدين إليهم ووافَوا الموعِدَ[3]، فانْقلَبوا بنعمةٍ من اللّهِ تعالى.

معنى الباءِ وغرضُ التَّنكير في قوله تعالى: ﴿بِنِعۡمَةٖ﴾:

إسباغُ النعمِ العظيمةِ على العبادِ نتيجةُ الأعمالِ العظيمةِ

الباءُ في قولِه: ﴿بِنِعۡمَةٖ﴾ مُتَعلِّقةٌ بمَحذوفٍ، وقعَ حالًا من الضَّمير في ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾[4]، وجاءَ التّنوين في ﴿بِنِعۡمَةٖ﴾ للتّفخيم[5]، أي: تَفْخيمُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 4/183، والسَّمعاني، تفسير القرآن: 1/381.
(2) البغويّ، معالم التنّزيل: 1/542.
(3) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/602.
(4) العكبري، التبيان: 1/158.
(5) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/602، وابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/171.

(نِعْمةٍ) وإسباغُ العَظَمةِ عليها، فيكونُ المعنَى: فَرَجعوا مِنْ مَقْصَدِهمْ مُلْتبِسينَ بنعْمةٍ عَظيمةٍ لا يُقادَرُ قَدْرُها، وما قيل في النِّعمةِ يُقال في قولِه: ﴿وَفَضْلٍ﴾؛ فله حكمُ المعطوفِ عليه.

معنى تعلُّقِ قولِه: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بمحذوفٍ:

جاءَ قولُه تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متعلِّقًا بمحذوفٍ صِفَةٍ لِنعْمةٍ مُؤَكِّدةٍ لِفَخامَتِها الذَّاتيَّةِ الَّتي يُفيدُها التَّنكيرُ بالفَخامةِ الإضافيَّةِ، أي: نِعمةٌ كائِنَةٌ من اللهِ تعالى، وهي العافيةُ، والثَّباتُ على الإيمانِ، والزِّيادةُ فيه، وحَذَرُ العَدوِّ منهم[1]، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يُبيِّنُ النِّعمةَ ويُجلِّي حالَها، فهي من اللهِ تعالى وكفى بها ذلك.

ما كانَ من اللهِ تعالى فهو النِّعمةُ العظيمةُ والخيرُ العميم

بلاغةُ التَّنكيرِ وفنِّ الاحتراسِ في قولِه تعالَى: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾:

جاء قولُه تعالى: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ احتراسًا لدفعِ توهمِ أن يمسَّ المؤمنين سوءٌ؛ فإنَّ الانقلابَ بالنِّعمةِ والفضلِ من اللهِ تعالى، لا ينفي وقوعَ شيءٍ من السُّوءِ ولو كان يسيرًا، فجاءَ قولُه تعالى: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ لدفعِ هذا الوَهمِ، وبيان أنَّ النِّعمةَ والفضلَ خاليان من أيِّ سوءٍ، وهذا سرُّ تنكيرِ كلمةِ ﴿سُوٓءٌ﴾؛ لِتَدُلّ على العُموم، والتَّقديرُ: مُنعَّمينَ حالَ كونِهم سالمينَ مِنْ أيِّ سوءٍ، يمكنُ أنْ يتطرَّقَ إليهم[2].

تـــوريـــثُ الطَّمأنينةِ التَّامةِ مـن وقـــوعِ أيِّ سوءٍ

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(انْقلَبوا)، و(رَجَعوا):

قَلْبُ الشَّيءِ: تصريفُه، وصَرفُه عن وَجْهٍ إلى وَجْه، كقلبِ الثَّوْب، وقلبُ الإنسان، أي: صرفُه عن طريقته، قالَ تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [العنكبوت: 21]، وقلبُ الإنسان، قيل: سُمِّيَ به لِكَثرةِ تَقلُّبِه، والانْقلابُ: الانْصرافُ، قالَ تعالى: ﴿أَنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [آل عمران: 144]، وكذلكَ هو المصيرُ إلى نقيضِ ما

(1) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/602.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/602.

كانَ فيه قبلُ، ويوضِّح ذلكَ قولُكَ: انقلبَ الطّينُ خَزَفًا، فأمَّا رُجوعُه خَزفًا؛ فلا يصحُّ؛ لأنَّه لمْ يكن قبْلُ خَزفًا[1]. والَّذي نخلُصُ إليه من خلالِ هَذا البَيان: أنَّ الفعلَ (انْقَلبواْ) أجْوَدُ بالمَقامِ القرآنيِّ مِنَ الفعلِ (رَجعوا)، فقدِ انقلبَ الصَّحابةُ - ﷺ - بقيادةِ رسولِ اللّهِ ﷺ، بمعنَى: صاروا إلى نقيضِ ما كانوا عليهِ مِنْ قبلُ، هؤلاءِ هم خرَجوا؛ ليُلحِقوا الهزيمةَ بالمشركين، بعد أنْ أصابَهم مِنَ القتلِ والجِراحِ ما أصابَهم، ولكنَّهم عادوا إلى مدينتِهم سالمينَ غانمينَ، لم يمسَسْهم سوء، بعد أنْ أنزلَ اللّهُ الرُّعبَ على قلوبِ المشركينَ، فرَجَعوا إلى مكَّةَ مِنْ حيثُ خرجوا؛ مُنهزِمينَ، لم يحقِّقوا أيَّ هدَفٍ مِنْ أهدافِهم.

(يمسسْ)، و(يُصيبُ):

تقدَّم الفرقُ بين هذيْن الفعليْن في قولِه تعالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ [آل عمران: 166]، وذكرْنا حينَها أنَّ قولَه: ﴿أَصَٰبَكُمۡ﴾ أليَق بالسِّياق، في المشْهدِ المُعْلَنِ عنه في غَزوةِ (أُحُدٍ)، أمّا هنا في هذه الآيةِ الكريمة؛ فالَّذي يناسبُ السِّياقَ استخدامُ الفعلِ ﴿يَمۡسَسۡهُمۡ﴾ حيثُ رجعَ المسلمونَ بقيادةِ رسولِ اللّهِ ﷺ إلى ديارِهم في المدينةِ، بعد أنْ صرَفَ اللّه عنهم عدوَّهم، لم يَمْسَسْهم أيُّ سوء، والمَسُّ: هو أقلُّ درجاتِ الإصابة[2].

الإرادة والرِّضْوان:

الرِّضا: يُقالُ: رَضيَ يَرْضَى رِضًا، فهو مَرْضيٌّ ومَرْضوٌّ، ورضا العبدِ عَنِ اللّه: ألَّا يَكرَه ما يَجري به قَضاؤُه، ورضا اللّهِ عَنِ العبد: هو أنْ يَراهُ مُؤتمِرًا لأمرِه، ومُنتهيًا عن نَهيه، قالَ اللّه تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: 119]. والرِّضوانُ: الرِّضا الكثيرُ، ولَمّا كانَ أعظمُ الرِّضا رضا اللّهِ تعالى؛ خُصَّ لفظُ الرِّضوانِ في القرآنِ بما كانَ مِنَ اللّهِ تعالى، قالَ اللّه ﷻ: ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح: 29][3]، وأمّا الإرادةُ؛ فهي منقولةٌ مِنْ (رادَ) (يَرودُ): إذا سعَى في طلبِ الشَّيء، وجُعلَ اسْمًا لِنزوعِ النَّفْسِ إلى الشَّيْءِ مع الحُكم فيه، بأنَّه يَنبغي أن يُفعَلَ، أوْ لا يُفعَل، ثم يُستعمَلُ مرّةً في المبدأ، وهو نُزوعُ النَّفسِ إلى الشَّيء، وتارةً في المُنتهَى، وهو الحكمُ فيه بأنَّه ينبغي أنْ يُفعلَ أوْ لا يُفعَل، فإذا استُعمِلَ

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 681، والعسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 249.
(2) الزّمَخْشري، الكشّاف: 1/459، والفيروزابادي، القاموس المحيط، ص: 741.
(3) الرّاغب، المفردات، ص: 371.

في اللّه؛ فإنَّه يُرادُ به المُنتهَى دونَ المبدأ، فإنَّه يتعالَى عن معنَى النُّزوع، فمتَى قيلَ: أرادَ اللّهُ كذا؛ فمعناهُ: حَكمَ فيه أنَّه كذا، وليس بكذا، نحوُ قولِه تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: 17][1]، وإرادةُ الطّاعةِ تكونُ قبلَها، والرِّضا بها يكونُ بعدَها، أوْ معَها، فليس الرِّضا مِنَ الإرادةِ في شيْء، والرِّضا أيضًا نَقيضُ السُّخْط، والسُّخْطُ مِنَ اللّهِ تعالى إرادةُ العِقاب، فينبغي أنْ يكونَ الرِّضا منه إرادةَ الثَّواب، أوِ الحكم به[2]، وممّا تقدَّم بيانُهُ؛ يتَّضحُ أنَّ إيرادَ البيانِ الإلهيِّ لكلمةِ (رِضْوان)، أنسَبُ بالسِّياقِ القرآنيِّ، فهؤلاءِ الصَّحابةُ - ﷺ - قدْ رَضوا عنِ اللّه، فلم يكرَهوا ما جرَى به قضاؤه، ممّا حلَّ بهم مِنَ الهزيمةِ والجِراح في (أُحُدٍ)، وأيقنوا الدَّرسَ الكبيرَ الَّذي تَعلَّموه، جَرّاءَ مخالفةِ الرُّماةِ لأمرِ رسولِ اللّهِ ﷺ، ورَضوا كذلكَ عنِ اللّهِ تمامَ الرِّضا، بعد أنْ صرَفَ عنهُم أعداءَهمُ الَّذينَ أرادوا العَوْدَ لِقتالِهم كرَّةً ثانية، وأعادَهُم سالمينَ غانمينَ بخيْرَيِ الدُّنيا والآخِرة، وهذا كلُّه لا تَفي به كلمةُ (الإرادة)، كما سَلَف.

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 56.

(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 34.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»